على هامش الدورة الخامسة لمهرجان أبو ظبي السينمائي

حزمة عروض منوّعة، والسينما المغربيّة كانت العلامة الأبرز

فيلم موت للبيع

كادر فيلم موت للبيع في المهرجان

فيصل عبد الله

أبو ظبي

الجريمة والعقاب

فيما انسداد الأفق والتهميش الذي يلف مصائر شباب مدينة تطوان المغربية، يتلقفه الكاتب والممثل والمخرج فوزي بنسعيدي في بنائه الدرامي لشريطه المهم (موت للبيع)، مسابقة الأفلام الروائية الطويلة. يقارب صاحب (ألف شهر) و (يالله من عالم جميل) في جديده شخصيات مستلة بعناية من مكان محدد، وفي مجتمع يخفي تناقضات لا حصر لها، ونتاج تفكك عائلي. ذلك أن شخصيات الفيلم الرئيسية، سفيان وعلال ومالك، يدورون في لعبة المصائر المعلقة، بانتظار العقاب على جرائمهم الصغيرة. لعبة ديدنها السرقات الصغيرة، وحالة التهميش، والبحث عن خلاص دائم يؤمن الثراء السريع. يقع الشاب سفيان في يد الجماعات الإسلامية، بعد أن مسك متلبسا بسرقة حقيبة طالبة. فيما يتحول الشاب مالك، بفعل السخط على عائلته إلى مخبر سري لرجل أمن (أداء فوزي بنسعيدي) مقابل إطلاق سراح عشيقته الراقصة دنيا. ويكون أول ضحاياه وشايته على عائلته بعد مقتل شقيقته على يد رجل قضاء. بينما تدور في رأس علال أفكار جهنمية، وعبر سرقة محل مجوهرات من أجل تأمين قوارب لتهريب المخدرات إلى أوروبا.

٢ - ٢

ولئن كان الخسران هو قدر هذه الشخصيات في النهاية. فان بنسعيدي ولّف شريطه بالكثير من الهدوء والتأني، وعبر رسم نهاية مختلفة لكل واحد منهم، أبرزها نهاية الشاب سفيان، المتعاطف مع أفكار الجماعات الإسلامية، المشبعة برمزيتها، إذ يظهره وقد غطى دم صاحب محل المجوهرات الإسباني يديه وملابسه، وكأنه أنجز مهمته الإيمانية. النهاية الدموية والشروط الاجتماعية والسياسية الضاغطة، يأخذ على يد الشاب هشام لعسري، في ثاني تجاربه السينمائية، مساراً مغايراً. جديده (النهاية)، فقرة مسابقة آفاق جديدة، يبتعد عن مألوف السينما العربية الدارج. ولربما يتبادر إلى ذهن المتلقي تأثيرات شريط "ماكس المجنون" (ماد ماكس) عليه. ثلاثة خطوط رئيسية تتحكم بإيقاع السرد؛ عصابة مؤلفة من أربعة أشخاص رسمها المخرج بهيئات كارتونية تدافع باستماتة لحماية شقيقتهم ريتا. ويدور الثاني حول حب العامل الرث ميخي لريتا. فيما يسرد الخط الثالث، يوميات رجل أمن مهمته المقدسة تكمن في الدفاع عن النظام السياسي، والاهتمام بزوجته المقعدة بطريقة سادية.

أما الزمن فيعود به المخرج إلى أيام محددة من شهر تموز/يوليو ١٩٩٩، تلك التي سبقت وفاة الملك الحسن الثاني. وفاة الملك، وما سبقها من انهيار لمقومات المجتمع الآدمي، عبر عنها الشريط بالكثير من التجريب حيث يمتزج الحب بنزعة انتقام دموية ووحشية، وحالة الترقب هو ما جمعه لعسري في بيانه السينمائي. التصوير باللونين الأبيض والأسود مغامرة تحسب إلى صناع هذا الشريط، لكنها مغامرة محسوبة عبرت عن نفسها بنتائج باهرة من خلال اللونين الأسود والأبيض لإضفاء مسحة قتامة على تلك الفترة القلقة، نتبينها من لحظة بداية الشريط التي صورت بالمقلوب. عالم لعسري جواني. مكتوم. لذا جاءت صرخته السينمائية بعد أكثر من عقد. صرخة طلق سينمائي متحرر من سياقات البناء الدرامي لكلشيهيات السينما التقليدية. سرد نتابع تفاصيله، ومطلوب منا فك شيفرة كم هائل من الرموز والإشارات على مدى ١٠٥ دقائق. ولكي تبلغ الحبكة ذروتها، ونستجمع خطوط الشريط، يعمد المخرج وبفطنة عالية، إلى ربط لحظة وفاة الملك بتجريد رجل الأمن من سلطته، حيث تركه طريح الأرض عارياً على سطح بناية. بالمقابل، ومن دوامة الشجن اليومي، صاغت ليلى كيلاني باكورتها الروائية "على الحافة" (دعم من صندوق "سند" التابع لمهرجان أبو ظبي السينمائي، وعرض في مهرجان كان الأخير ضمن فقرة تظاهرة "نصف شهر المخرجين" الموازية لمسابقة الفقرة الرئيسية ممثلاً للمغرب). ذلك أن حكاية الشابة بديعة (أداء باهر لصوفيا عصامي التي تقف للمرة الأولى أمام الكاميرا)، الشخصية المحورية في الفيلم والعاملة في معمل لتجهيز الروبيان، هي في حقيقتها البحث عن خلاص فردي، خلاص يستجيب إلى إغراء شرطه صديقتها المقربة إيمان (منى بحمد) ومن بعد الشابتين سلمى ونوال (نزهة عاقل وسارة بتوي)، وعبر الانغمار في عالم السرقة الليلة والجريمة وبيع الجنس. عمدت كيلاني إلى "تأنيث الجريمة"، على حساب الصورة النمطية للمرأة من كونها المرادف للضعف والانقياد. ذلك أن قاع المدينة، والشروط الاجتماعية والاقتصادية الضاغطة يمكن أن توفر البيئة المناسبة لإنتاج نماذج على شاكلة الشابة المسترجلة بديعة. لا نعرف، كمشاهدين، ماذا يعتمر في ذهن بديعة، سوى المصرح به على الشاشة؛ غسل جسمها في حوض ماء بلاستيكي وبطريقة هستيرية للتخلص من روائح الروبيان، وترطيب وجهها بالليمون الطازج، وعدم استعمال أدوات الزينة، وحركتها الدؤوبة، وقدرة على القيادة والمجازفة، وحوارات مقتضبة وسريعة نكاد اللحاق بها، هو كل ما تبوح به الصورة. ولكن التداخل بين ما هو معروض وما تخفيه بديعة يبقي لغزها، واستثنائيتها، تلك التي وظفتها كيلاني في نهاية شريطها بطريقة شاعرية. زلة بديعة المأسوية هي أنها استجابت إلى رغبة الاستحمام بحمام ساخن، فطالما حرمت منه وكان مقتلها.

ورغم أن مصوري الأفلام السالفة من الأوروبيين جميعاً، حيث تضافرت لهم الدربة والحساسية والحرية الداخلية في مقاربة هذه النصوص فنياً. فان ما قدمته هذه الأفلام يعد العلامة الأبرز لاشتغالات جيل جديد من السينمائيين الشباب، وفي وضع صعب تكاد تغيب عن مشهده السينما الجادة ذات الخطاب الفني.

كلاكيت

■ علاء المفرجي
ala.m@almadapaper.com

في مئويته نجيب محفوظ.. سينمائياً

في مئوية نجيب محفوظ لابد من أن نتوقف عند امتداد إبداعه سينمائيا،منذ تأثر أسلوبه الأدبي باللغة السينمائية ،التي لا يمكن أن يخطئ في رصدها أي متابع لأعماله الروائية.. مرورا بموضوعات رواياته التي عالجتها السينما بأساليب مختلفة.. وليس انتهاء بما شكله الفن السابع في مسيرته الإبداعية.

كانت أحد أهم الندوات المصاحبة لمهرجان أبو ظبي السينمائي في دورته الأخيرة تلك المخصصة عن نجيب محفوظ سينمائيا،والتي تصدى لإغناء موضوعاتها عدد من أهم نقاد السينما في مصر ..وقد اختار الناقد الحصيف كمال رمزي أحد أهم محاور هذه الندوة ببحث عنوانه(نجوم السينما في سفينة محفوظ)،أضاء فيه بدراية ومتابعة ذكية جانبا مهما في عالم محفوظ السينمائي.

علاقة الروائي الكبير مع السينما،بدأت مع بداياته في الأدب متذوقا،ودارسا،ثم مشاركا،وهي علاقة شكلت ملمحا بارزا في مسيرته الإبداعية حتى أنها أصبحت في العقود الخمسة الأخيرة من حياته موازية لما أنجزه من إبداع في مجال الرواية،الذي توّجه بحصوله على جائزة نوبل كأول أديب عربي.

والانغمار الحقيقي لمحفوظ في عالم السينما،كان قد بدأ ،مع احد أهم رموزها ورائد الواقعية فيها الراحل صلاح أبو سيف، عندما شاركه كتابة سيناريو فيلمه (المنتقم)،ولم تنته بالطبع حتى السنوات الأخيرة من حياته، وعودة إلى بحث الناقد كمال رمزي الذي توقف عند نجوم تضوعت بأريج عالمه الروائي، فتوهج بريق نجوميتها،أو عند وجوه جديدة، منحتها شخصياته الروائية حضورا لافتا في الأداء السينمي.

ولعل سر سطوع نجومية من شاركوا في أفلام اعتمدت أعمالا روائية لمحفوظ يتعلق بتفرّده في الاعتناء ببناء شخصياته الروائية واستبطان عالمها الداخلي، مما يوفر مساحة كافية للممثل في تجسيد هذه الشخصية على النحو الامثل من خلال "فقرة واحدة أو جملة قصيرة تضيء عند الممثل العالم الداخلي للشخصية التي سيؤديها" كما يرى كمال رمزي.

وربما تكون هذه ميزة ينفرد فيها الكثير ممن جسدوا شخصيات روايات محفوظ عبر أكثر من ثلاثين عملاً عالجتها السينما ..استطاعوا خلالها أن يظهروا إمكاناتهم الأدائية على حقيقتها..وهو أمر يخالف السائد في السينما في كون المخرج هو من يفجر الطاقات للممثل وليس كاتب العمل ..ولكن مع شخصيات محفوظ فإن الأمر مختلف.. الممثلة القديرة سناء جميل التي استهلكت في السينما أكثر من عشرة أعوام من دون أن تبرز حقيقة إمكاناتها، ولكنها مع دور نفيسة في (بداية ونهاية)رسمت دور عمرها تماما مثل عماد حمدي الذي قدم كأحد أهم ممثلي السينما المصرية من خلال دور احمد عاكف في (خان الخليلي)، وأنيس زكي في(ثرثرة فوق النيل) التي لا يمكن لمن شاهد هذا الفيلم أن ينسى الدور الإعجازي له ، والأمر كذلك مع سعاد حسني وشادية وحمدي أحمد وغيرهم.

يذهب كمال رمزي في بحثه إلى تأكيد اثر الشخصية الروائية عند محفوظ على أداء الممثل أكثر من اثر المخرج عندما يتوقف عند الممثلة شادية في(زقاق المدق)التي فشلت فيه بتقمّص دور حميدة في الرواية ،خلافا لدوريها في(ميرامار)و(الطريق)، في كونها "انتمت في زقاق المدق إلى عالم حسن الإمام"،أكثر من انتمائها للشخصية التي رسمها محفوظ.

ثلاثية الحياة لبازوليني وحلم الماضي الجميل

نجاح الجبيلي

أول ما يلاحظ في أفلام بيير باولو بازوليني (الديكاميرون) و (حكايات كنتربري) و (وردة ألف ليلة) المسماة بثلاثية الحياة هو العري. إن كل مشهد تقريباً من كل فيلم يهتم بالمطاردة الليبيدية البسيطة للجنس الطارئ ويبرز غزارة الجسد العاري – الشاب والعجوز، الذكر والأنثى.

فإذا ما كنت معتاداً على أفلام بازوليني فربما لاحظت التفاؤل الجريء للثلاثية. وهذه الأفلام هي أخف أعماله وأجملها وألطفها، إذ تتميز بسعة الخيال المدهش والمفعمة بالأمل. يقدم كل فيلم فردوساً رعوياً ذا أخلاقية مفككة وأحوال داعرة. ثمة القليل من القلق أو النقد الإجتماعي الصريح في هذه الأفلام، وبدلاً من ذلك فإن بازوليني يحتفل بالشهوانية الشديدة للحكايات والابتسامات الملتوية والأجساد العارية المبهجة لأبطاله الريفيين الشباب والمتعة البسيطة للقصة التي تجري حكايتها بشكل جيد. وبسبب أو على الرغم من الطبيعة الجنسية المتماسكة لمقاطع الأفلام هذه فإن النغمة بأكملها هي إحدى الصفات الساذجة الشبيهة بالطفولية.

بالطبع إن جو السذاجة التي يصهر بها بازوليني هذه الثلاثية هو مدروس تماما. إن المخرج وظف هذه النغمة البريئة لمصلحة الثيمات الأكثر نضوجاً (والأقل طفولية) للسياسة والجماليات. وإذا ما أخذنا هذه الأفلام على حدة فإنها تكون تسليات سارة وبذيئة إلى حد ما. لكن بأجمعها تمثل الثلاثية شيئاً أكثر غنىً، رؤية متنوعة (كايدلوسكوبية) لماض قبل صناعي ودور الفن ضمن هذا العالم.

تتضمن (ثلاثية الحياة) لبازوليني إعدادا لثلاثة نصوص من العصور الوسطى كل منها خلاصة وافية لحكايات قصيرة مزدوجة تصور تفاعلات العقيدة والجنس والتجارة في تنويعة من الأصوات المختلفة والأساليب الأدبية. وعلى نحو ذي مغزى فإن موضوعات الأعمال الثلاثة كلها: الديكاميرون لبوكاشيو وحكايات كنتربري لجفري تشوسر، وألف ليلة وليلة التي كتبها عدة مؤلفين هي دنيوية وبروليتارية ولا تهتم حصراً بالنبالة أو تتيح تعليماً دينياً مثل أغلب الأدبيات الأخرى في ذلك الوقت. والنصوص الثلاثة تشترك في هيكلها بالأساليب نفسها: إطار قصة يؤسس لموقف، يكون فيه من الضروري لسلسلة من القصص أن تجري رواياتها (من قبل مجموعة من الشخصيات المختلفة في الديكاميرون وحكايات كنتربري وشخصية واحدة هي شهرزاد في ألف ليلة وليلة). في هذه الكتب يكون القص وسيلة للتخلص من الملل أو حتى تأخير لحظة الموت ولذا تصبح لا مجرد بذخ بل نشاط أو فعالية من الجوهري جزئياً العيش فيها. في هذه العوالم يخدم السرد قصداً ما وللفنان الراوي موقع فريد في مجتمعه. ويستعمل بازوليني جزئياً إعدادات أفلامه كي يحدد موقعه كفنان في عوالم هذه الكتب الثلاثة.

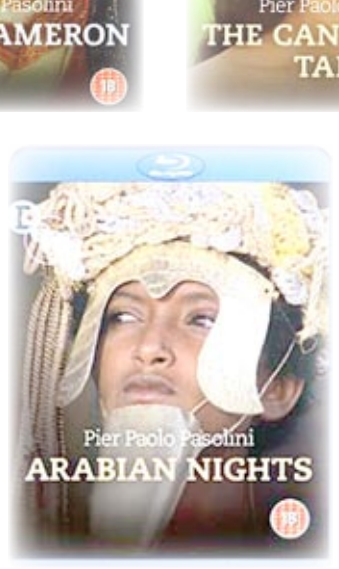

لهذا السبب فمن المهم ملاحظة كيف أن بازوليني يغير بشكل جذري الأعمال الأصلية في إعدادات الفيلم. ولا شك في أن هناك تأكيداً على الجنسانية في كل نص، لكن هذا مجرد مثال لتأويلات المخرج الخاصة لهذه الكتب بدلاً من كونها تعديلاته أو مراجعاته لها. إن تغييرات بازوليني كانت مدهشة في بناء هذه الأفلام وبالأخص في معالجته لإطارات القصص الأصلية. وبينما يطابق بشكل واضح بين فكرة تكامل السرد والمجتمع التي يعرّف بها كل كتاب يقوم بترتيب الهيكل السردي للنصوص الأصلية. إن رواة بوكاشيو يذهبون مثل شهرزاد، وعلى الرغم من أن حجاج تشوسر يلمحون بشكل وجيز، إلا أن لا أحد منهم يقص أي حكاية. وبدلاً من ذلك فإن بازوليني يعيد تأطير القصص في الأعمال الثلاثة ويصف علاقة أكثر براعة بين المجتمع والسرود التي تنيره.

بالطبع إن الوسيلة التي يصف بها بازوليني عوالم (الديكاميرون) و(حكايات كنتربري) و (الف ليلة وليلة) تتركه أمام اتهامات بأنها دخيلة أو غريبة. إن جعل المخرج من كل الأجواء القروسطية والريفية مثالية في "ثلاثية الحياة"، هي نتيجة واضحة لآرائه الاشتراكية حول الفردوس الرومانتيكي ما قبل عصر الصناعة قبل صعود "النزعة الاستهلاكية المثيرة للاشمئزاز". إنه يتجنب بشكل متعمد كل إشارة إلى صعوبة الحياة الريفية وفقرها في العصور الوسطى.

ومع ذلك فإن هذه الأفلام ، مثل رؤية جيوتو عن مريم العذراء والأحلام المجموعة لليالي العربية، من الواضح إنها تمثل عالماً فنتازيا – إن تصوير بازوليني مفعم بالأمل لما يجب أن يكون عليه العالم لا كما كان أو يكون. هذه أحلام بالفردوس والطيبة المتأصلة والبراءة لماض متخيل. بالنسبة لفنان مثل بازوليني مسحور بالعالم الحديث تكون (ثلاثية الحياة) أو (فعالية الشباب في الحرية الجنسية) هو نوع من الأمل الأخير للإنسانية. لكن المخرج كان واعيا بحدود رؤيته وخدعتها ولم يقتنع بهذا الحلم، فهو يرفض شكلياً سلسلة أفلامه هذه في عمود بجريدة إيطالية كتبه بعد سنة من إكمال الثلاثية، لذا فإن تحرر بازوليني من وهمه الأخير وحلمه بذلك العالم نتج عنه كابوسه الأخير المتمثل بفيلم (سالو).

محطات سينمائية

إعداد/ عادل العامل

عـــودة جيـمـس بـونـد

سيعود دانييل كريغ يتفادى الرصاص، ويهزم أوغاداً من الصين إلى تركيا في القسم الـ ٢٣ من امتياز (أفلام جيمس بوند). وكما أعلن سابقاً، يقوم المخرج سام مينديز بإخراج مغامرته الجيمس بوندية الأولى، التي تحتفي بذكراها الخمسين في عام ٢٠١٢ عند إطلاق (Skyfall). والأشياء القليلة التي أعلن عنها مينديز في لندن هي كادره التمثيلي ومواقع الفيلم، حيث يعود زبونا بوند، كريغ وجودي دينتش مديرة مخابرات M١٦ الصارمة، إلى دوريهما، ويقوم الممثل الأسباني خافيير باردَم بدور الوغد والممثلة الفرنسية بيرانيس مارلو ونعومي هاريس من بريطانيا بدور فتاتي بوند. أما ما قاله المنتجون فهو أن الفيلم سيأخذ بوند في بعثة مليئة بالحركة والأحداث إلى أماكن مختلفة من العالم، كلندن، وشنغهاي، واسطنبول، واسكتلندة.

"خمس عرائس" في العـرض الآن

أطلق للعرض في دور السينما الروسية فيلم جديد من إخراج كارين أوغانيسيان، يحمل عنوان "خمس عرائس". وهو عبارة عن كوميديا ترسم مغامرات مرحة للشباب بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ويتميز المخرج أوغانيسيان بقدرته على إيجاد جزء صغير من السعادة والمرح حتى في الأوقات المأساوية، فالحياة ينبغي أن تستمر. وقصة الفيلم حول بعض الأصدقاء الجنود الذين لايستطيعون الرجوع إلى بيوتهم بعد انتهاء الحرب. وحين يذهب أحدهم إلى قريته في مهمة تستغرق ٢٤ ساعة، يطلب كل واحد منه أن يبحث عن عروس له. وقد صرّح المخرج أوغانيسيان قائلا: إنه لا يعرف لماذا اختار هذه المجموعة من الممثلات والممثلين بالذات، لكنه عندما يتخذ قرارا في عمله، فإنه متأكد من أن هذا القرار صحيح، وهكذا كان الأمر هنا تماماً وقد حقق الطاقم النجاح لدى الجمهور.

ناديتا في منتدى النساء العالميّات

أصبحت الممثلة والمخرجة الهندية ناديتا داس أول امرأة هندية تُعيَّن في منتدى النساء العالميات International Women's Forum. وبحضور نسوة قياديات من ٧٠ دولة، راحت الممثلة التي غالباً ما سلكت مساراً منعزلاً في الصناعة المسكونة بالفتنة، تسير في صحبة على قدم المساواة. ويساعد منتدى النساء العالميات على الربط بين نساء العالم البارزات بحيث يكون في استطاعتهن تبادل الأفكار وتصعيد قيادة أفضل لعالم متغير. وقد اختيرت ناديتا لمساهماتها المعزَّزة للفنون وللعالم كواحدة من القياديات الأكثر جاذبيةً في الفنون السينمائية في وقتنا هذا، والتي أظهرت لنا كيف تكون الأصالة في الواقع، وكيف يمكن للحفاظ على القيَم واستخدام الموهبة أن يدفعا بالنساء والعالم إلى الأمام، كما تقول مجلة The Hindu.